مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الإنسانية، م ٣٢ ع ٤، ص ص: ٣٦٧ – ٣٩٨ (٢٠٢٤م)
DOI:10.4197/Art.32-4.12

# مشاهد معياري "الموقفية" و"الإعلامية": "معاني القرآن" للفراء نموذجًا

**عبيد بن أحمد بن عبيد المالكي**

*أستاذ النحو والصرف المشارك، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الباحة، المملكة العربية السعودية*

*المستخلص.* انتقلت الدراسات اللسانية الحديثة من دراسة الظاهرة اللغوية على مستوى الجملة إلى دراستها ضمن إطار أكبر؛ ألا وهو "النص"، وقد وضع روبرت دي بوجراند معايير سبعةً يقوم عليها النص، تركِّز الدراسة على اثنين منها يتعلَّقان بما يُحيط بالنص من ظروف وملابسات؛ هما: الموقفية التي تتعلق بالسياق الخارجي الذي يقع فيه النص، والإعلامية التي تكشف عن خروج المتكلم عما يتوقعه المتلقي، وتأتي أهمية هذه الدراسة؛ حيث تفتح الباب واسعًا أمام الباحثين للاستفادة من معايير نحو النص في الكشف عن خصائص النصوص العربية، بالاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي والمنهج المقارن في الوصف والتحليل والمقارنة بين نظرات الفرَّاء، ومعطيات علم نحو النص، وتهدف الدراسة إلى الكشف عن مدى توظيف الفرَّاء لمعياري الموقفية والإعلامية في تحليل النص القرآني، وعن منهجه في توظيفها، مع استجلاء أوجه الاتفاق والاختلاف بين ما قدَّمه وما استقر في نحو النص، وخلصت الدراسة إلى أن الفرَّاء قد وظَّف معطيات الموقفية كما استقر عليها علماء نحو النص؛ فاستعان بالأحداث والتاريخ، وبيَّن المعتقدات والأعراف للوصول إلى معاني النص القرآني، وفيما يخص معيار الإعلامية، فلم يكن حظُّ الفرَّاء منها إلا الإشارة إلى إمكانات العربية وبدائلها المتاحة في التعبير، دون الالتفات إلى ما وراء ذلك من تأثير في توقعات المتلقي للنص.

*الكلمات المفتاحية:* نحو النص، الموقفية، الإعلامية، معاني القرآن، الفرَّاء.

## المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: فيُطلق النص عند جمهور المشتغلين بنحو النص على تتابع الجمل وتماسكها، ويعرفه بعضهم بأنه العلم الذي يبحث في سمات النصوص وأنواعها وصور ترابطها والانسجام الحادث بين تراكيبها، كما يهدف "نحو

النص" إلى تحليل مختلف النصوص وتصنيفها، واستجلاء صور التماسك والترابط والانسجام والاتساق[١]، على عكس نحو الجملة، الذي يركز على القواعد النحوية والبنى التركيبية للجمل المفردة، بينما ينظر نحو النص إلى النص باعتباره وحدة متكاملة تحمل معنى شاملاً يُستنبط من تفاعل مكوناته ومن سياقه الكلي، على حين يهدف نحو النص إلى تحقيق فهم أعمق وأكثر دقةً للظواهر اللُّغوية، ويساعد في تحليل النصوص بشكل شامل يغطي مختلف جوانبها ودلالاتها[٢].

إن نحو النص يُعد حديث النشأة نسبيًّا، فقد ظهر مع الثورة العلمية والتحولات المعرفية التي شهدها القرن الماضي، وارتبط ارتباطًا وثيقًا باللسانيات وعلوم اللغة وفلسفة اللغة والتداولية والأسلوبيات والبلاغة الحديثة. وقد استفاد هذا التخصص العلمي من تطورات عدة في مجالات البلاغة والصوتيات والعروض والنقد الأدبي، مستعينًا أيضًا بعلم نحو الجملة بالقدر الذي يساعده على تحليل النصوص وفك شفرتها[٣]، أما نحو الجملة، فهو علم أسبق وجودًا من نحو النص، إذ يشتغل في حدود الجملة، واصفًا تراكيبها وأنساق علاماتها اللغوية المختلفة. ويختلف عن نحو النص في كونه يركز على الجملة المفردة بوصفها وحدةَ تحليل أساسية، بينما يستهدف نحو النص بنيات النص في كليتها، بوصفه كلا مترابطًا يستدعي السابق منه اللاحق. ويتفق النحوان في معيارين هما: معيار السبك: لتحقيق الترابط اللفظي بين أجزاء الجملة بوصفها التركيب اللغوي الذي ينتمي إلى مجمل النص، ومعيار الحبك: لتحقيق ترابط المعنى الحاصل بين التراكيب الجملية[٤]، كما يجتمع النحوان في اهتمامهما ببيان العلاقة النحوية والدلالية؛ فبينما يهتم نحو الجملة بهذه العلاقات في البنية الجملية، يهتم نحو النص بالعلاقات النحوية والدلالية بين جمل النص، كما يستخدم نحو النص كثيرًا من المُسلَّمات التي انتهى إليها نحو الجملة[٥]، ويتلاقى نحو النص مع علم البلاغة في

---

(١) زكريا، ميشال، (١٩٨٦)، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، الطبعة الثانية، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، (ص: ٧، ٨).

(٢) الصبيحي، محمد، (د.ت)، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، مصر، الدار العربية للعلوم ناشرون، (ص: ٣٨ وما بعدها).

(٣) المرجع السابق، (ص: ٣٤٢).

(٤) السعران، محمود، (د.ت)، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، الطبعة الأولى، بيروت، دار النهضة العربية، (ص: ٣٤١).

(٥) عفيفي، أحمد، (٢٠٠١)، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، (ص: ٣٩).

موضوعات عديدة مثل: مراعاة مقتضى الحال، وكمال الاتصال والانقطاع، والإيجاز والإطناب. كما يتلاقى مع النقد الأدبي في موضوعات مثل الوحدة العضوية والموضوعية والعلاقة بين الشكل والمضمون[(١)].

**أهمية البحث**

أهمية نظرية: بيان مدى الوعي اللغوي عند النحاة القدامى؛ ومن ثَمَّ الوقوف على أهمية التراث، ورفض القول بعدم جدواه.

وأخرى تطبيقية، وهي: الاستفادة من منجزات نحو النص في تحليل النصوص العربية؛ ما ينتج عنه معالجة أكثر عمقًا لظواهر اللغة، وفهمٌ أكثرُ دقة لتقنيات الخطاب، لا سيما تلك التقنيات التي تتصل بمحيط النص وملابساته الخارجية، ومنها معيارا الموقفية، والإعلامية.

**أهداف البحث**

ترمي الورقة البحثية إلى الكشف عن مدى توظيف الفرَّاء لمعياري الموقفية والإعلامية في تحليل النص القرآني، وعن منهجه في توظيفها، مع استجلاء أوجه الاتفاق والاختلاف بين ما قدَّمه وما استقر في نحو النص.

**أسباب اختيار الموضوع**

١- انتقال الدراسات اللسانية من الجملة إلى النص: لدراسة الظاهرة اللغوية ضمن إطار أكبر لتوفير تفسيرات شاملة للظواهر اللغوية.

٢- تسليط الضوء على معايير روبرت دي بوجراند: للتركيز على معايير "الموقفية" و"الإعلامية" لفهم النصوص اللغوية بشكل أعمق.

٣- فتح آفاق البحث في النصوص العربية: للاستفادة من معايير نحو النص في تحليل النصوص العربية بعمق.

٤- اختيار كتاب "معاني القرآن" للفراء كنموذج: لكشف مدى توظيف الفرَّاء لمعياري "الموقفية" و"الإعلامية" في النص القرآني.

---

(١) مصلوح، سعد، (يوليو – أغسطس ١٩٩١)، "نحو أجرومية للنص الشعري دراسة في قصيدة جاهلية"، مجلة فصول، المجلد العاشر، (العددان الأول والثاني)، (ص: ١٥١ – ١٦٦).

٥- فهم تقنيات الخطاب التراثي: لزيادة الوعي بتقنيات الخطاب المستخدمة في التراث العربي.

٦- تطوير منهجية التحليل اللغوي: باستخدام معايير نحو النص لتقديم معالجة أعمق لظواهر اللغة.

٧- تأكيد أهمية التراث اللغوي: لبيان الوعي اللغوي عند النحاة القدامى وتعزيز قيمة التراث العربي.

**أسئلة البحث**

١- ما أهمية الانتقال من نحو الجملة إلى نحو النص؟

٢- ما المفاهيم الأساسية لنحو النص، وكيف تطورت الدراسات اللسانية للوصول إلى هذه النقطة؟

٣- ما مفهوم "الموقفية" عند علماء نحو النص، وكيف يتم تحديده وتطبيقه في تحليل النصوص؟

٤- كيف وظَّف الفرَّاء معيار "الموقفية" في كتابه "معاني القرآن"، وما هي المشاهد والأمثلة التي تبرز هذا التوظيف؟

٥- ما تعريف "الإعلامية" في نحو النص، وما هي الحدود التي تحدد هذا المعيار؟

٦- ما درجات "الإعلامية" المختلفة، وكيف يمكن تصنيفها في النصوص؟

٧- ما الأصول النظرية لمفهوم "الإعلامية"، ومن أين تستمد قوتها في تحليل النصوص؟

٨- كيف تعامل الفرَّاء مع معيار "الإعلامية" في كتابه "معاني القرآن"، وما هي الأمثلة التي توضح تطبيقه لهذا المعيار؟

**منهج البحث**

اعتمد البحث في الإجابة عن تساؤلاته على منهجين؛ هما:

١- المنهج الوصفي التحليلي: حيث الانتقال من جمع المعلومات إلى وصف الظواهر، وتحديد خصائصها، وتحليلها.

٢- المنهج المقارن: حيث استنباط أوجه الاتفاق والاختلاف بين ما قدمه الفرَّاء، وما استقر في حقل نحو النص حول هذين المعيارين.

**خطة البحث**

اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في: مقدمة، ومبحثين:

المبحث الأول: الموقفية Situationality، وفيه:

المطلب الأول: المعيار عند علماء نحو النص.

المطلب الثاني: مشاهد الموقفية في معاني الفرَّاء.

المبحث الثاني: الإعلامية Informativity، وفيه:

المطلب الأول: حدُّ الإعلامية.

المطلب الثاني: درجات الإعلامية.

المطلب الثالث: أصول الإعلامية.

المطلب الرابع: مشاهد الإعلامية في معاني الفرَّاء.

ثم خاتمة فيها أهم النتائج والتوصيات، وفهرس للمصادر والمراجع، على ما سيأتي بيانه.

**الدراسات السابقة**

١- دراسة رشا فاضل عباس (٢٠٢٣)، بعنوان: "مشاهد نظرية لسانيات النص في معاني القرآن للفرَّاء دراسة نظرية تطبيقية": هدفت الدراسة إلى إبراز مشاهد المعايير النصية في النحو القديم، ممثَّلًا في "معاني القرآن" للفراء، واعتمدت المنهجَ الوصفيَّ لوصف الظواهر وتحليلها، وربطت بينها وبين ما جاءت به النظرية النصية، وتوصلت إلى أن النحاة القدامى كان لديهم حسٌّ لغوي واعٍ، وأن دراستهم لم تكن شكلية؛ حيث بحثوا في مفهوم النص، وأقاموا نحوهم على أسس نصية تتصل بالمعنى، وأخرى تتصل بالمبنى وتماسك أجزاء الكلام، والتفتوا إلى السياق الخارجي وتأثيره في النص، وأن "معاني القرآن" للفرَّاء قد حوى بعض خصائص التحليل النصي؛ كالاهتمام بالتماسك، والجانب الاتصالي، واتفقت هذه الدراسة مع البحث الحالي في الجمع بين التنظير والتطبيق، لكنها تختلف عنه في أنها ركَّزت على المعايير التي تتصل بالنص ذاته؛ وهي السبك والحبك، وإشاراتها إلى معيار الموقفية قليلة، وتناولها معيار الإعلامية يكاد ينعدم، أما البحث الحالي فيُركِّز على الموقفية والإعلامية، مبينًا ظواهرهما عند الفراء، وخصائصهما عند علماء النص.

٢- دراسة صغرى بدري (٢٠٢٢)، بعنوان: "السياق الخارجي عند روبرت دي بوجراند وتطبيقاته على النص القرآني"، هدفت تلك الدراسة إلى تحليل المعايير الثلاثة المتصلة بالسياق الخارجي عند بوجراند؛ وهي: الإعلامية والموقفية والتناص، وتحليلها في ضوء الدراسات النقدية العربية القديمة، واعتمدت على

المنهج الوصفي، وتوصلت من خلال تطبيق هذه المعايير على النص القرآني إلى أن معيار الموقفية وُجِد في الدراسات العربية القديمة تحت مصطلح "المقام"، واتضح في أسباب النزول القرآني، وأن الكفاءة الإعلامية للنص القرآني عالية، ويفرض على المتلقي أن يكون على علمٍ كافٍ بما يحيط به من ظروف وملابسات، واعتمدت الدراسة تفسيرَ التناص على أنه علاقةُ أجزاء النص بعضها ببعض، وقد كشفت تلك الرؤية عن دلالات كثيرة للنص القرآني، وخلصت إلى أنَّ السياق الخارجي يقوم بدور مهمٍّ في فَهم النص القرآني وتفسيره، واتفقت هذه الدراسة مع البحث الحالي في التناول النظري للمعايير، واختلفت عنه في الجانب التطبيقي؛ حيث يقتصر البحث الحالي على "معاني القرآن" للفراء، واختلفت عنه أيضًا في تناولها معايير السياق الخارجي الثلاثة، أما البحث الحالي فقد تناول اثنين منها فقط؛ هما: الموقفية والإعلامية.

هذا، وأسأل الله تعالى التوفيق والسداد في القول والعمل، إنه أعظم مأمول وأكرم مسؤول.

## المبحث الأول: الموقفية Situationality

### المطلب الأول: المعيار عند علماء نحو النص

حدَّد روبرت دي بوجراند معيار "الموقفية" بأنه ذلك المعيار الذي يتوفر على العوامل التي يكون بها النص ذا ارتباط بموقف من المواقف الحالية، أو المواقف السائدة القابلة للاسترجاع[(١)]، واعتبره معيارًا نفسيًّا[(٢)]؛ لارتباطه بعلم النفس[(٣)].

ولا يتحقق تأثير الموقف غالبًا دون أن يحدث التَّوسُّط، الذي يعبِّر عن مدى تغذية منشئ النص للنموذج المختار للموقف الحالي بأهدافه ومعتقداته، وعليه فإن وظيفة النص تكون أحد أمرين:

١- إما أن تكون تقديمَ وصفٍ لنموذج الموقف، دون حدوث التوسط، فيما يسمى برصد الموقف.

٢- وإما أن تكون توجيهَ الموقف بحسب الأهداف الخاصة لمنتج النص، فيما يسمى بإدارة الموقف[(٤)].

---

(١) دي بوجراند، روبرت، (١٩٩٨)، النص والخطاب والإجراء، ترجمة: حسان، تمام، الطبعة الأولى، القاهرة، عالم الكتب، (ص: ١٠٤).

(٢) المرجع السابق، (ص: ١٠٦).

(٣) المرجع السابق، (ص: ٨).

(٤) دي بوجراند، روبرت، دريسلر، ولفغانغ، أبو غزالة، إلهام، حمد، علي، (١٩٩٢)، مدخل إلى علم لغة النص، الطبعة

وقد يكون التوسط ضئيلًا كما في الأمور التي تخضع للإدراك المباشر، وقد يكون جوهريًّا كما في قراءة نص أدبي قديم تدور أحداثه في عالم آخر مثل ملحمة جلجامش[١].

وقد رأى جيليان براون، وجورج يول أن إمكان تحليل أي سلسلة لغوية من غير مراعاة للسياق الذي تستعمل فيه أو المحيط أو الظروف – أمرٌ مشكوكٌ فيه[٢]، فالنص لا بد أن يتصل بموقف يقع فيه، وهذا الموقف يتكون من مجموعة من المعارف والمرتكزات والتوقعات، تتفاعل جميعًا وتسمَّى "سياق الموقف"، ويقابله "سياق البِنية"، وهو تركيب النص الداخلي[٣]، ولا بد في تحليل النصوص من قراءة الموقف ومعرفة الملابسات، وعبارة فان دايك في هذا الصدد: "يشترط تفسير النص تفسير العالم"[٤]؛ أي: تفسير العالم المحيط بالنص.

ولقد اشتُهِرَ الأنثروبولوجي مالينوفسكي –الذي قامت على آرائه المدرسة السياقية الإنجليزية– بأنه أول من استخدم مصطلح سياق الموقف أو الحال Context of situation[٥]، بمعنى: "مجموع عناصر محيطة بموضوع التحليل، تشمل حتى التكوين الشخصي، والتاريخ الثقافي للشخص، ويدخل في حسابها الماضي والحاضر والمستقبل"[٦]، وقد استعمل فيرث –زعيم المدرسة السياقية– المصطلح ليدل على عناصر الموقف الكلامي المتكامل؛ من المتكلم والمخاطب أو المخاطبين، والانفعالات والاستجابات والمسالك التي

---

الأولى، مصر، مطبعة دار الكتاب، (ص: ٢٠٩).

(١) دي بوجراند، روبرت، (١٩٩٨)، النص والخطاب والإجراء، ترجمة: حسان، تمام، الطبعة الأولى، القاهرة، عالم الكتب، (ص: ١٠٤).

(٢) براون، جيليان، يول، جورج، (د.ت)، تحليل الخطاب، ترجمة: الزليطني، محمد، التريكي، منير، المملكة العربية السعودية، جامعة الملك سعود، (ص: ٣٢).

(٣) دي بوجراند، روبرت، (١٩٩٨)، النص والخطاب والإجراء، ترجمة: حسان، تمام، الطبعة الأولى، القاهرة، عالم الكتب، (ص: ٩١).

(٤) دايك، فان، (٢٠٠١)، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة: بحيري، سعيد، الطبعة الأولى، القاهرة، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، (ص: ٢٩٤).

(٥) حسان، تمام، (د.ت)، مناهج البحث في اللغة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، (ص: ٢٦١).

(٦) المرجع السابق، (ص: ٢٥١، ٢٥٢).

تحدث فيه، وكل ما له صلة مؤثرة بالموقف[١]، وأطلق عليه تمام حسَّان مصطلح "الماجريات"[٢]، وأطلق عليه أيضًا المصطلح البلاغي التراثي "المقام"، وعرَّفه بأنه محصلة الظروف ذات الصلة، سواء أكانت طبيعية أم اجتماعية أم غيرهما، وذلك في وقت أداء الكلام[٣]، معلنًا أن البلاغيين العرب قد سبقوا مالينوفسكي بألف عام أو يزيد؛ حيث استخدموا مفهوم Context of situation تحت اصطلاح "المقام"[٤]؛ الذي يعني عندهم: الدواعي والأسباب التي تجعل الكلام يأتي على نسق مخصوص[٥]، وهو مساوٍ لمصطلح "الحال"[٦]، هذا، وقد وَرَدَ مصطلح "الموقف" فيما نقله الجاحظ عن ابن المقفع؛ حيث يقول: "... قال: فقيل له: فإن ملَّ السامع الإطالةَ التي ذكرت أنها حق ذلك **الموقف**، قال: إذا أعطيتَ كلَّ مقام حقَّه، وقمتَ بالذي يجب من سياسة ذلك **المقام**..."[٧]، فقد استخدم الجاحظ مصطلحي "الموقف"، و"المقام" بمعنًى واحد، ويقصد بهما الظرف الخارجي الذي قيل فيه الكلام[٨].

إذًا فمصطلح سياق الحال أو الموقف يدل على مجموع العناصر التي تشكِّل الموقف الكلامي؛ ومنها[٩]:

١- الأبعاد الشخصية والتكوين الثقافي لكلٍّ من المتكلم والسامع، وغير ذلك من الشخصيات التي تشهد

---

(١) المرجع السابق، (ص: ٢٦٢).

(٢) المرجع السابق، (ص: ٢٦٢).

(٣) حسان، تمام، (٢٠٠٦)، اللغة العربية معناها ومبناها، الطبعة الخامسة، القاهرة، عالم الكتب، (ص: ٤١).

(٤) المرجع السابق، (ص: ٣٧٢).

(٥) التهانوي، محمد، (١٩٩٦)، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، الطبعة الأولى، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، (١/ ٦١٦).

(٦) الحنفي، إبراهيم، (د.ت)، الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، بيروت، دار الكتب العلمية، (١/ ١٨٥).

(٧) الجاحظ، أبو عثمان عمرو، (١٩٩٨)، البيان والتبيين، الطبعة السابعة، القاهرة، مكتبة الخانجي، (١/ ١١٦).

(٨) البركاوي، عبد الفتاح، (١٩٩١)، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، القاهرة، دار الكتب، (ص: ٢٨).

(٩) السعران، محمود، (د.ت)، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، الطبعة الأولى، بيروت، دار النهضة العربية، (ص: ٣١١).

الموقف الكلامي، سواء أكانوا شهودًا أم مشاركين.

٢- العوامل الاجتماعية التي لها صلة بالسلوك اللغوي للمشاركين في الموقف الكلامي، وكذلك الانفعالات والاستجابات الطارئة، وأيضًا تأثير الكلام في المشتركين في الموقف؛ كالألم والضحك، والاقتناع والإغراء، ونحو ذلك.

هذا، وقد استخدم تمام حسان مصطلح "السياق الواقعي"؛ مشيرًا به إلى الاعتماد في فهم النص على العلاقات بين عناصر الموقف الكلامي، أو على العرف السائد، أو القرينة التاريخية أو الجغرافية[(١)]، وعند فان دايك يتحدَّد السياق الواقعي بزمان ومكان معينين لهما خصائصهما المنطقية والمعرفية والفيزيائية، تتحقق فيهما النشاطات المشتركة لطرفي الخطاب (المتكلم والمخاطب)[(٢)].

**المطلب الثاني: مشاهد الموقفية في معاني الفرَّاء**

**أولًا: أثر سياق الموقف في اللغة**

- لقد أثَّر سياق الموقف في اختيار الفرَّاء لتقدير الحذف -ومن ثَمَّ الترجيح الإعرابي- في قوله تعالى: {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ} [يوسف: ٨٣]؛ فكلمة {فَصَبْرٌ} يجوز فيها الوجهان: الرفع على تقدير مبتدأ: ما هو إلا الصبر، والنصب على تقدير فعل: اصبروا صبرًا، ولما كان الشعور المسيطر على الموقف هو الحزن الشديد لفقد ولده بنيامين بعد يوسف، فإن يعقوب ﷺ لم يُعزِّ إلا نفسه، ولم يتوجه إلى أحد بالخطاب، فيترجَّح الرفع على النصب، وقد أشار إلى ذلك الفرَّاء إشارة بديعة؛ حيث قال: "الصبرُ الجميل مرفوع لأنه عَزَّى نفسَه وقال: ما هُوَ إلا الصبر، ولو أمرهم بالصبر لكان النصب أسهل"[(٣)].

- والتأثير نفسه -أعني تأثير سياق الموقف- فسَّر الضمير المختلَف في عَودِهِ، في قوله تعالى: {عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ} [يونس: ٨٣]؛ فقد اختلف أهل التفسير في عود ضمير الجمع في {وَمَلَئِهِمْ} على قولين؛ الأول: على فرعون، بمعنى: آل فرعون، والثاني: على أشراف بني إسرائيل؛ لأنهم كانوا يمنعون

---

(١) حسان، تمام، (٢٠٠٧)، اجتهادات لغوية، الطبعة الأولى، القاهرة، عالم الكتب، (ص: ٢٤٨).

(٢) دايك، فان، (٢٠٠٠)، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: قنيني، عبد القادر، المغرب، إفريقيا الشرق، (ص: ٢٥٨).

(٣) الفرَّاء، يحيى، (١٩٨٣)، معاني القرآن، الطبعة الثالثة، بيروت، عالم الكتب، (٢/ ٥٣).

أبناءهم الإيمانَ بموسى خوفًا من فرعون[(١)]، وقد ذكر الفرَّاء وجهًا ثالثًا، اعتمادًا على سياق الموقف الذي مِلْؤُهُ الخوف من فرعون، فالضمير يعود إلى فرعون اعتبارًا بالمعنى؛ لأن الْمَلِك إذا ذُكِر على سبيل الخوف، تصوَّره الذهن هو ومَنْ معه مِنْ أتباعه، فكان الخروج من المفرد إلى الجمع هنا بيانًا وتصويرًا لخوف المؤمنين من طغيان فرعون وتجبره، وجوَّز القول الأول على حذف مضاف، أي: آل فرعون[(٢)]، وبمثل هذا التفسير رأى الفرَّاء أن ضمير الجمع في قوله تعالى على لسان بلقيس: {وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ} [النمل: ٣٥] يعود على سليمان عليه السلام[(٣)].

إذًا فقد كان لعامل الموقف عند الفرَّاء تأثيرٌ في لغة النص؛ إذ إنه اتكأ عليه في تفاصيل دقيقة، وجعله حكمًا فيها؛ كالترجيح الإعرابي، ومرجع الضمير، متبنيًا المفهومَ نفسَه الذي قال به علماء النص؛ فالارتباط بالموقف المحيط بالحدث الكلامي ذو تأثير واضح في تشكيله، ويعتمد فَهم السامع على مراعاته ذلك الموقف، وإحاطته به.

**ثانيًا: سياق الموقف وعناصر الإحالة**

العناصر الإحالية هي عناصر لا تملك دلالة مستقلة، ويعتمد فَهمها على عناصر أخرى قد تكون مذكورة في النص، أو موجودة في المقام الخارجي[(٤)]، ومنها: الموصولات، وأسماء الإشارة، والضمائر[(٥)]، وقد بيَّن الفرَّاء بعض هذه العناصر الإحالية اعتمادًا على سياق الموقف؛ ومن ذلك:

١- الموصولات: لقد استخدم القرآن الموصولات -ومثلها أسماء الإشارة والضمائر- في الإشارة إلى أفراد بعينهم، أو إلى طوائف وجماعات مجتمعية بعينها يعلمها المخاطبون من سياق الموقف[(٦)]؛ فمن الإشارة إلى

---

(١) الزمخشري، جار الله محمود، (د.ت)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الطبعة الثالثة، بيروت، دار الكتاب العربي، (٢/ ٣٦٣).

(٢) الفرَّاء، يحيى، (١٩٨٣)، معاني القرآن، الطبعة الثالثة، بيروت، عالم الكتب، (١/ ٤٧٦، ٤٧٧).

(٣) المرجع السابق، (٢/ ٢٩٣).

(٤) الزناد، الأزهر، (١٩٩٣)، نسيج النص بحث فيما به يكون الملفوظ نصًّا، الطبعة الأولى، بيروت، المركز الثقافي العربي، (ص: ١١٨، ١١٩).

(٥) الصبيحي، محمد، (د.ت)، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، مصر، الدار العربية للعلوم ناشرون، (ص: ٩٠).

(٦) حسان، تمام، (٢٠٠٧)، اجتهادات لغوية، الطبعة الأولى، القاهرة، عالم الكتب، (ص: ٢٤٩).

الأفراد باسم الموصول قوله تعالى: {وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا} [الأحقاف: ١٧]، فالمقصود به عبد الرحمن بن أبي بكر قبل أن يُسلِمَ[١]، ومثله قوله تعالى: {وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي} [التوبة: ٤٩] فقد أشار الموصول {مَّن} إلى جد بن قيس الذي استأذن النبي ﷺ أن يتخلف في غزوة تبوك؛ حتى لا تفتنه نساء الروم[٢]، والإشارة إلى الطوائف بالموصول كثيرة في القرآن؛ من ذلك قوله تعالى: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا} [التوبة: ١٠٧] ذكر الفرَّاء أن المقصود بهم بنو عمرو بن عوف[٣]، وفي قوله جل جلاله: {وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ} [الأحزاب: ٢٦] أشار اسم الموصول إلى يهود بني قريظة الذين ناصروا أهل مكة على النبي ﷺ[٤]، في حين أشار اسم الموصول في قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ} [الحشر: ٢] إلى يهود بني النضير[٥]، وأشار اسم الموصول في قوله عز من قائل: {لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ} [الممتحنة: ٨] إلى خزاعةَ، وقد اشتهر عند النحاة أن جملة الصلة من شروطها: العهدية[٦]؛ لأنها تُعرِّف مبهمًا هو الموصول، والعهدية هنا مأخوذة من السياق المحيط بالنص، ولا بد من قراءة النص في إطار هذا السياق وإلا ظلَّت الموصولات على إبهامها.

٢- أسماء الإشارة: كالإشارة إلى القرآن نفسه بـ {هَذَا}، في قوله تعالى: {مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا} [هود: ٤٩][٧]، وقوله: {هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا} [الحج: ٧٨][٨]، ومن الإشارة إلى الطوائف الإشارة بـ {هَؤُلاَء} في قوله تعالى: {وَمِنْ هَؤُلاَء مَن يُؤْمِنُ بِهِ} [العنكبوت: ٤٧] إلى جماعة

---

(١) الفرَّاء، يحيى، (١٩٨٣)، معاني القرآن، الطبعة الثالثة، بيروت، عالم الكتب، (٣/ ٥٣).

(٢) المرجع السابق، (١/ ٤٤٠).

(٣) المرجع السابق، (١/ ٤٥٢).

(٤) المرجع السابق، (٢/ ٣٤٠).

(٥) المرجع السابق، (٣/ ١٤٣).

(٦) ابن مالك، جمال الدين محمد، (١٩٩٠)، شرح التسهيل، الطبعة الأولى، القاهرة، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، (١/ ١٨٧).

(٧) الفرَّاء، يحيى، (١٩٨٣)، معاني القرآن، الطبعة الثالثة، بيروت، عالم الكتب، (٢/ ١٩).

(٨) المرجع السابق، (٢/ ٢٣١).

المؤمنين في مكة[١]، وفي قوله تعالى: {فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاء} [الأنعام: ٨٩] إلى كفار مكة[٢].

٣- الضمائر: كما في قوله تعالى: {وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا} [التوبة: ١٢٤]؛ حيث يعود الضمير في {فَمِنْهُم} إلى طائفة المنافقين[٣]، ورجع إلى أهل مكة في غير ما آية؛ مثل: الضمير (هم) في قوله تعالى: {فَاسْتَفْتِهِمْ} [الصافات: ١٤٩][٤]،وقوله: {بَلَوْنَاهُمْ} [القلم: ١٧][٥]، ومثل ذلك قوله تعالى: {وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ} [الأحقاف: ١٠]، فالضمير في {مِثْلِهِ} يعود على ما شهد عليه عبد الله بن سلام من كون النبي ﷺ موصوفًا في التوراة[٦].

٤- الكلمات التي تُحيل على مفهومٍ لا سبيل إليه إلا من خلال سياق الموقف: مثل تفسيره لكلمة {وَحِيْدًا} في قوله: {ذَرْنِيْ وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيْدًا} [المدثر: ١١] بأنه الوليد بن المغيرة المخزومي[٧]، وتفسير طائفة المخلَّفين من الأعراب في قوله تعالى: {سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا} [الفتح: ١١] بأنهم أعراب أسلمَ وغِفار، ومُزَينةَ وجُهينةَ[٨].

ومن ثَمَّ فتلك العناصر الإحالية ستظل مبهمة، غير معلومة الدلالة، إذا لم يكن للسامع إحاطة بالموقف الذي قيلت فيه هذه الآيات، وهذا ما أدركه الفرَّاء، واعتمد عليه في تفسيره المحالَ إليه من هذه الموصولات وأسماء الإشارة، والضمائر والكلمات، ويتطابق استخدام الفرَّاء لمعيار الموقفية من حيث المفهوم والأداء مع ما ذكره علماء النص؛ حيث ظهر في تفسيره تأثير البيئة المحيطة بالقرآن؛ من الإحالة إلى طوائف أو أشخاص بأعينهم، هذه الطوائف والأشخاص جزء من بيئة المخاطبين، ومعلومون لديهم، وظَّفها الفرَّاء لخدمة النص القرآني

---

(١) المرجع السابق، (٢/ ٣١٧).

(٢) المرجع السابق، (١/ ٣٤٢).

(٣) المرجع السابق، (١/ ٤٥٥).

(٤) المرجع السابق، (٢/ ٣٩٣).

(٥) المرجع السابق، (٣/ ١٧٤).

(٦) الفرَّاء، يحيى، (١٩٨٣)، معاني القرآن، الطبعة الثالثة، بيروت، عالم الكتب، (٣/ ٥١).

(٧) المرجع السابق، (٣/ ٢٠١).

(٨) المرجع السابق، (٣/ ٦٥).

في بيان ما أحالت إليه الآيات، وأزال عنها الإبهام والغموض، وهذا عينُ الدور الذي يؤديه سياق الموقف عند علماء النص؛ فالموقف المحيط جزء من العملية الكلامية، وفهمها يتوقف على الإلمام به.

**ثالثًا: دور السياق الثقافي**

يُعبِّر السياق الثقافي عن الخلفية المعرفية المشتركة بين أطراف الخطاب، وهو ذو أهمية كبرى في فهم النص[(١)]، فلا يمكن قراءة النص بمعزل عنه؛ حيث يرتبط النص ارتباطًا وثيقًا بالمعتقدات السائدة والأعراف الاجتماعية.

**١- المعتقدات السائدة**

نقل الحق سبحانه أقوالَ المخالفين لدعوة الإسلام من اليهود والنصارى ومشركي العرب، وأشار القرآن إلى معتقداتهم، وعليه فلا بد من قراءته في إطار هذه المعتقدات؛ فمن تلك المواضع قوله تعالى: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ} [آل عمران: ٥٩]؛ فالآية ردٌّ على قول النصارى في عيسى غ إنه ابن الله[(٢)]، ومنها أيضًا تفسيره لقوله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوب} [ق: ٣٨] بأن يهود المدينة ذكروا أن الحق جل وعلا بدأ خلق السماوات والأرض يوم الأحد، وانتهى منه يوم الجمعة، واستراح يوم السبت؛ فكذَّب الله تعالى زعمهم[(٣)]، ومن ذلك أيضًا تفسير قوله تعالى: {أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى} [النجم: ٢١]، إذ ذكر الفرَّاء أن الآية ردٌّ على اعتقاد مشركي العرب، الذين زعموا أن الأصنام والملائكة بنات الله[(٤)].

**٢- الأعراف الاجتماعية**

ذهب بوجراند إلى أن الأعراف الاجتماعية والعوامل النفسية وثيقة الصلة بالنصوص[(٥)]، وجعل تمَّام

---

(١) عبد الكريم، جمعان، (٢٠٠٩)، إشكالات النص المداخلة أنموذجًا دراسة لسانية نصية، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، (ص: ٤٩٦).

(٢) الفرَّاء، يحيى، (١٩٨٣)، معاني القرآن، الطبعة الثالثة، بيروت، عالم الكتب، (١/ ٢١٩).

(٣) المرجع السابق، (٣/ ٨٠).

(٤) المرجع السابق، (٣/ ٩٨).

(٥) دي بوجراند، روبرت، (١٩٩٨)، النص والخطاب والإجراء، ترجمة: حسان، تمام، الطبعة الأولى، القاهرة، عالم الكتب،

حسَّان العُرفَ السائد من مكوِّنات السياق الواقعي[١]، وقد عَرَض القرآن لأعراف البيئة الاجتماعية المتصلة به؛ لأنه كتاب تشريع، فأقرَّ أعرافًا، وأبطل أعرافًا أخرى، من ذلك إشارته إلى عُرفِ التبنِّي الذي أبطله القرآن؛ حيث قال تعالى: {وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءكُمْ أَبْنَاءكُمْ} [الأحزاب: ٤]، فقد كان الرجل في الجاهلية إذا أعجبه من أحدهم قوةً وجلَدًا، جعله مثل بعض ولده، ونُسب إليه[٢].

ومن العرض السابق يتبين أن الأبعاد الثقافية حاضرة في ذهن الفرَّاء، يستند عليها في بيان معاني القرآن، ومعيار الموقفية بذلك يتسع عنده ليشمل المواقف السابقة التي تشكِّل الثقافة السائدة، وهو عين ما عند علماء النص، فبوجراند أدخل في معيار الموقفية المواقف الحالية، والمواقف السابقة القابلة للاسترجاع[٣]، وأيضًا هو عين ما عليه المدرسة السياقية؛ حيث جعل فيرث سياق الموقف مشتملًا على كل ما له صلة مؤثرة بالموقف[٤]، ويشمل ذلك الأعراف والثقافات.

**رابعًا: القرينة التاريخية**

خاطب القرآنُ العربَ بما استقرَّ في وعيهم مما أصاب الأمم السابقة من هلاكٍ، ولا يُفهم النص إلا بهذا الإلمام التاريخي؛ من ذلك تفسير الفرَّاء للمؤتفكات في قوله تعالى: {أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ} [التوبة: ٧٠] بأنها قرى قوم هود وصالح ولوط، أو قوم لوط فقط[٥].

ومنه أيضًا ما ذكره القرآن من هلاك مملكة سبأ في قوله تعالى: {فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ} [سبأ: ١٦]، وذلك الحدثُ متجذِّرٌ في الثقافة العربية، واستدل الفرَّاء على ذلك بذهابه مَثَلًا من أمثالهم، فقد قِيل: تفرَّقوا أيادي سبأ، وجاء في شعرهم:

---

(ص: ٩٢).

(١) حسان، تمام، (٢٠٠٧)، اجتهادات لغوية، الطبعة الأولى، القاهرة، عالم الكتب، (ص: ٢٤٨).

(٢) الفرَّاء، يحيى، (١٩٨٣)، معاني القرآن، الطبعة الثالثة، بيروت، عالم الكتب، (٢/ ٣٣٥).

(٣) روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء (ص: ١٠٤).

(٤) حسان، تمام، مناهج البحث في اللغة (ص: ٢٦٢).

(٥) الفرَّاء، يحيى، (١٩٨٣)، معاني القرآن، الطبعة الثالثة، بيروت، عالم الكتب، (١/ ٤٤٦).

عينًا ترى الناس إليها نَيْسَبَا  من صادرٍ وواردٍ أيدي سَبَا[١]

وقد أشار القرآن إلى أحداث تاريخية حاليَّة ومستقبلة، فمن الأحداث التاريخية الحالية هزيمةُ الروم في حربها مع فارس، في قوله تعالى: {غُلِبَتِ الرُّوم * فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُون * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُون}[الروم: ٢ – ٤] فقد فرِح المشركون لأن أهل فارس عبدة أوثان، وحزِن المسلمون؛ لأن الروم أهل كتاب[٢]، ومن الأحداث المستقبلة إشارة القرآن إلى وقعة بدر في غير ما آية من سورٍ مكية، ومعلوم أن بدرًا كانت في العهد المدني؛ فقوله تعالى: {يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُون} [الدخان: ١٦]، وقوله: {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُر} [القمر: ٤٥]، قد فسَّرهما الفرَّاء بأن ذلك يوم بدر[٣]، وقد اكتمل فَهم المخاطبين لهذه الآيات بعد وقوع غزوة بدر؛ فقد رُوِي أن عمر سأل رسول الله ﷺ وقت نزول الآية عن تأويلها، يقول: "قلت: يا رسول الله، أي جمعٍ سيُهزم؟ فلما كان يوم بدرٍ وانهزمت قريش، نظرتُ إلى رسول الله في آثارهم مُصلِتًا بالسيف، وهو يقول: {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُر} [القمر: ٤٥]"[٤].

والاستعانة بالقرينة التاريخية من عناصر السياق الواقعي التي ذكرها تمام حسان؛ ذلك أنَّ النص القرآني متصلٌ اتصالًا وثيقًا بسياق الأحداث التاريخية، ويتوقف فَهم المخاطبين للنص على الإلمام بها[٥]، والقرينة التاريخية عنصر من عناصر الموقفية بمفهوم بوجراند؛ لأن المواقف السابقة عنده كما تعبر عن الثقافة والعُرف السائدين، فإنها تعبِّر عن الأحداث التاريخية التي لها بُعْدٌ في التكوين الشخصي لأطراف الخطاب، أو في تشكيل الموقف الذي سِيقت لأجله العبارة، ومن ثَمَّ فلا يمكن تناول النص إلا في هذا الإطار الموسَّع لمفهوم الموقف، وهذا ما ارتكز عليه الفرَّاء في بيان معاني الآيات.

وبعدُ؛ فإن معيار "الموقفية" أو "رعاية الموقف" الذي وضعه بوجراند يتصل اتصالًا مباشرًا بمصطلح

---

(١) الفرَّاء، يحيى، (١٩٨٣)، معاني القرآن، الطبعة الثالثة، بيروت، عالم الكتب، (٢/ ٣٥٨).

(٢) المرجع السابق، (٢/ ٣١٩).

(٣) المرجع السابق، (٣/ ٤٠) (٣/ ١١٠).

(٤) السيوطي، عبد الرحمن، (د.ت)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، بيروت، دار الفكر، (٧/ ٦٨١).

(٥) حسان، تمام، (٢٠٠٧)، اجتهادات لغوية، الطبعة الأولى، القاهرة، عالم الكتب، (ص: ٢٤٩).

"سياق الحال" عند فيرث، و"الماجريات" عند تمام حسان، و"المقام" في التراث البلاغي، ومما سبق عرضه نجد أن الفرَّاء قد وظَّف معطيات الموقفية كما وضعها علماء نحو النص؛ فقد استعان بالمواقف الحالية، والتاريخية، والمعتقدات الثقافية، والأعراف الاجتماعية – في تحليل النص القرآني وبيان معانيه ومراميه، وليس ثمة فارقٌ بين توظيفه للمعيار، وبين ما هو عليه في علم نحو النص، والذي يفرِض ذلك خصوصيةُ النص القرآني، وارتباطه بالوقائع التي تمثِّل مساحاتٍ تفاعليةً بينه وبين المخاطبين به، فيما يُعرف بأسباب النزول(١).

## المبحث الثاني: الإعلامية Informativity

### المطلب الأول: حدُّ الإعلامية

شاع إطلاق مصطلح "الإعلامية" على المعلومات التي يتشكَّل منها محتوى النص، بيدَ أنَّ بوجراند يستعمله بمفهوم آخر، فيدل على التنوع أو الجِدَّة التي تتصف بها معلومات النص في مواقف معينة، فالإعلامية النصيَّة هي ذلك المعيار الذي تتحقق به الجِدَّة في النص؛ حيث يخالف منشئ النص توقعات المتلقي إزاء وقائع النص؛ فيكون المتلقي –من ثَمَّ– غير قادر على الجزم بالوقائع النصية الفعلية في مقابل الوقائع المحتملة الحدوث(٢)؛ وعليه فإن معيار الإعلامية يخضع للتقدير(٣)، فهو يعبِّر عن مدى توقُّع عناصر النص نسبة إلى عدم توقعها، "أو المعلوم في مقابل المجهول"(٤)، "أو المعروف في مقابل غير المعروف أو غير المؤكد"(٥).

ويعرِّف بوجراند إعلامية عنصر ما بأنها "نسبة احتمال وروده في موقع معين بالمقارنة بينه وبين

---

(١) نوفل، يسري، المعايير النصية في السور القرآنية دراسة تطبيقية مقارنة، الطبعة الأولى، القاهرة، دار النابغة للنشر والتوزيع. (ص: ٢٠٠).

(٢) دي بوجراند، روبرت، (١٩٩٨)، النص والخطاب والإجراء، ترجمة: حسان، تمام، الطبعة الأولى، القاهرة، عالم الكتب، (ص: ١٠٥).

(٣) المرجع السابق، (ص: ١٠٦).

(٤) دي بوجراند، روبرت، دريسلر، ولفغانغ، أبو غزالة، إلهام، حمد، علي، (١٩٩٢)، مدخل إلى علم لغة النص، الطبعة الأولى، مصر، مطبعة دار الكتاب، (ص: ٣٣).

(٥) حسان، تمام، (٢٠٠٧)، اجتهادات لغوية، الطبعة الأولى، القاهرة، عالم الكتب، (ص: ٣٧٩، ٣٨٠).

العناصر الأخرى من وجهة النظر الاختيارية"[١]، وكل نص لا بد أن يشتمل على قدر من الإعلامية؛ إذ لا يمكن التنبؤ بكل وقائع النص كما هي[٢].

**المطلب الثاني: درجات الإعلامية**

يميِّز بوجراند بين ثلاث درجات من الكفاءة الإعلامية كما يلي:

١- الدرجة الدنيا: أن يرِدَ عنصرٌ محتملٌ في تركيب محتمل، ويكون العنصر في هذه الدرجة قليل الكفاءة الإعلامية، سهل الصياغة[٣]، ويمثل تلك الدرجة قولك: تطلع الشمس في وقت النهار[٤].

٢- الدرجة الوسطى: أن يرِدَ عنصرٌ غيرُ محتمل في تركيب محتمل، أو عنصر محتمل في تركيب غير محتمل[٥]، وهذه الدرجة نراها في النصوص الأدبية، وتتسم العناصر الواردة في هذه الدرجة بالتحدي، ولا تُوصف بإثارة الجدل دون سبب كما سنرى في الدرجة العليا[٦]، ويمثلها: المجازات والكنايات[٧].

٣- الدرجة العليا: أن يرد عنصر غير محتمل في تركيب غير محتمل[٨]؛ ما يجعل صِياغة العنصر صعبة، ويُثير بذلك جدلًا حادًّا، وانتباهًا شديدًا؛ لأن اختياره جاء من خارج نطاق التوقع، ومن ثَمَّ يزيد احتمال الفشل في تحديد الصلة بين تلك العناصر والعناصر التي سبقتها، وتحفِّز تلك العناصر البحثَ للحصول

---

(١) دي بوجراند، روبرت، (١٩٩٨)، النص والخطاب والإجراء، ترجمة: حسان، تمام، الطبعة الأولى، القاهرة، عالم الكتب، (ص: ٢٤٩).

(٢) دي بوجراند، روبرت، دريسلر، ولفغانغ، أبو غزالة، إلهام، حمد، علي، (١٩٩٢)، مدخل إلى علم لغة النص، الطبعة الأولى، مصر، مطبعة دار الكتاب، (ص: ٣٣).

(٣) دي بوجراند، روبرت، (١٩٩٨)، النص والخطاب والإجراء، ترجمة: حسان، تمام، الطبعة الأولى، القاهرة، عالم الكتب، (ص: ٢٣، ٢٤).

(٤) المرجع السابق، (ص: ٢٧).

(٥) المرجع السابق، (ص: ٢٤).

(٦) المرجع السابق، (ص: ٢٥١).

(٧) المرجع السابق، (ص: ٢٧).

(٨) المرجع السابق، (ص: ٢٤).

على مصدرها حتى تدخل في نطاق الاختيارات المحتملة، فيما يُعرف بالخفض؛ أي: تحويل تلك العناصر من الدرجة الثالثة إلى الثانية، وقد يكون الإتيان بمثل هذه العناصر متعمدًا، وجزءًا من خطة المتكلم للوصول إلى غرضه[١]، ويمثلها: المرامي البعيدة، والإلغاز، والتعمية[٢].

إذًا ففي الكفاءة الإعلامية مرتبةٌ وسطى فيها توازُنٌ بين الكفاءة والتأثير، ومرتبتان على طرفي نقيض: المرتبة الدنيا والعليا[٣].

وإذا كان مستوى الكفاءة الإعلامية منخفضًا، أدى إلى الارتباك والملل، بل إلى رفض المتلقي للنص أحيانًا، وإذا ارتفع مستوى الكفاءة الإعلامية، ارتفع مستوى الاتصال بين المتلقي والنص، وتحقَّقت له المتعة، ومع ذلك لا بد أن يحذر منتج النص من أن يصل بالإعلامية إلى مستوى تعجز فيه قدرة المتلقي عن الربط بين المعلومات في النص؛ ما يعرِّض اتصال المتلقي بالنص للخطر[٤].

**المطلب الثالث: أصول الإعلامية**

– ترتبط الإعلامية بتوقعات مستقبل النص، ويسمي سعد مصلوح النقاط التي يحدث عندها عدم التوقع "المنعطفات الجديدة"[٥]، وهناك ثلاثة مصادر تُشكِّل توقعات المتلقِّين:

**الأول:** يسميه بوجراند "العالم الواقعي"، ويعبِّر عن الطريقة التي يرى بها الناس العالم، التي تُبنى على أساس المعلومات المختزنة والتجارب الواقعية، فـ"العالم الواقعي" يتشكل من النموذج المجتمعي السائد، والقضايا الصادقة في هذا العالم تسمَّى عُرفًا بـ"الحقائق"، ولا بد لأي نصٍّ يُبطل هذه الحقائق أن يشتمل على قرائنَ تغيِّر توجيهات المتلقين ليُحدثوا تعديلات في توقعاتهم؛ ما يُسهم في تقريب المسافة بينهم وبين

---

(١) دي بوجراند، روبرت، (١٩٩٨)، النص والخطاب والإجراء، ترجمة: حسان، تمام، الطبعة الأولى، القاهرة، عالم الكتب، (ص: ٢٥٥، ٢٥٦).

(٢) المرجع السابق، (ص: ٢٧).

(٣) المرجع السابق، (ص: ٢٦٧).

(٤) دي بوجراند، روبرت، دريسلر، ولفغانغ، أبو غزالة، إلهام، حمد، علي، (١٩٩٢)، مدخل إلى علم لغة النص، الطبعة الأولى، مصر، مطبعة دار الكتاب، (ص: ٣٣).

(٥) مصلوح، سعد، (٢٠٠٤)، في اللسانيات العربية المعاصرة دراسات ومثاقفات، الطبعة الأولى، القاهرة، عالم الكتب، (ص: ٢٣٣، ٢٣٤).

عالم النص[١].

**الثاني:** يتصل بتوقعات المتلقي اللغوية؛ ففي العربية مثلًا: يتوقع المتلقي عدم التقاء الساكنين، ويتوقع ترتيبًا معينًا للجملة، وهكذا[٢].

**الثالث:** التوقعات الناشئة عند استعمال النص أو ما يسميه بوجراند "الموقف المباشر"، ويتضح ذلك في ظاهرة الأسلوب، التي هي الانتقاء الفردي للبدائل في نص مفرد، أو مجموعة نصوص، أو نوع معين منها، حيث يُنشئ الموقف المباشر مدًى للتوقعات يختلف تنظيميًّا عما في النظم الافتراضية التقليدية[٣].

**المطلب الرابع: مشاهد الإعلامية في معاني الفرَّاء**

ترتبط الإعلامية بالبدائل التي تتيحها اللغة، وتعتمد على فكرة "الاحتمال"، فالبديل الأكثر احتمالًا يكون أكثر توقعًا من غيره[٤]، ومن ثَمَّ فإن مستوى الكفاءة الإعلامية –مخالفة التوقُّع– يرتفع كلما كان احتمال إيراد العنصر اللغوي بعيدًا[٥].

وقد أثبتت التجارِب أن مستعملي اللغة تتشابه توقعاتهم لتتابع العناصر في الجملة عند البدء من نقطة معينة[٦]، هذا، ويختلف احتمال ورود عنصر لغوي معين بحسب النظام؛ فالعنصر المحتمل وروده في النظام النحوي، قد لا يُحتمل وروده في النظام الدلالي، والعكس بالعكس[٧].

---

(١) دي بوجراند، روبرت، (١٩٩٨)، النص والخطاب والإجراء، ترجمة: حسان، تمام، الطبعة الأولى، القاهرة، عالم الكتب، (ص: ٢٦٢، ٢٦٣).

(٢) المرجع السابق، (ص: ٢٦).

(٣) المرجع السابق، (ص: ٢٦٥).

(٤) حسان، تمام، (٢٠٠٧)، اجتهادات لغوية، الطبعة الأولى، القاهرة، عالم الكتب، (ص: ٣٨٠).

(٥) دي بوجراند، روبرت، (١٩٩٨)، النص والخطاب والإجراء، ترجمة: حسان، تمام، الطبعة الأولى، القاهرة، عالم الكتب، (ص: ٢٤٩).

(٦) دي بوجراند، روبرت، (١٩٩٨)، النص والخطاب والإجراء، ترجمة: حسان، تمام، الطبعة الأولى، القاهرة، عالم الكتب، (ص: ٢٥٠).

(٧) المرجع السابق، (ص: ٢٥١).

والنص القرآني يغاير في تعابيره، ويختار من البدائل التي تتيحها اللغة؛ وصولًا إلى أغراضه، وقد كان الفرَّاء واعيًا جدًّا بالبدائل؛ لدرايته الواسعة بمجاري كلام العرب، أما تأثير اختيار هذه البدائل في المتلقي، والغرض منه، فلم يلتفت له إلا في مواضعَ قليلة، مثَّلت إشارات دقيقة واعية، كان لها أثرٌ فيما ظهر بعدُ من علوم البلاغة.

**أولًا: المواضع التي اقتصر فيها الفرَّاء على ذكر البدائل**، وهي كثيرة، ويمكن تقسيمها كما يلي:

**١- على مستوى التصريف**

**- استعمال أكثر من لغة للفظ واحد**

قد يأتي القرآن بلغتين مختلفتين للفظ واحد، وقد تكلمت بهما العرب، وذلك يحقِّق تنويعًا وجِدَّة على نطاق الألفاظ المفردة؛ ومثل ذلك قوله تعالى: {لاَ يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ} [الحجرات: ١٤]، وقوله: {وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم} [الطور: ٢١]، وهما لغتان، يُقال: لات يليت، وألَت يألِتُ، بمعنى: نقصه حقَّه[(١)]، والذي يدل على فَهم الفرَّاء لهذا التنويع القرآني أنَّه بعد أنْ ذكر قراءة بعض القرَّاء في {يَلِتْكُم}: يألتكم، قال: "ولست أشتهيها... وليس هذا بموضع يجوز فيه سقوط الهمز... وإنما اجترأ على قِراءتها (يألتكم) أنه وجد {وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ} [الطور: ٢١] في موضع، فأخذ ذا من ذلك؛ فالقرآن يأتي باللغتين المختلفتين..."[(٢)].

فالفراء هنا يذكر البدائل المتاحة التي يأتي بها القرآن في كلمة واحدة، دون أن يتعدى ذلك إلى شيء مما يتصل بمفهوم الإعلامية عند علماء النص، فلا يكاد يذكر أثر ذلك في المخاطب، ومفهوم الإعلامية يتصل أساسًا بالمخاطب.

**- تعاقب الإفراد والجمع**

من ذلك عود الضمير مفردًا تارة ومجموعًا تارة؛ مثل قوله تعالى: {وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ} [الشورى: ٤٨]، فأعاد الضمير على الإنسان مفردًا أولًا {فَرِحَ بِهَا}، ثم أعاده مجموعًا {تُصِبْهُمْ} - {أَيْدِيهِمْ}، والذي جوَّز عود الضمير مفردًا ومجموعًا أن لفظ {الإِنسَانَ}

---

(١) الأزهري، أبو منصور، (٢٠٠١)، تهذيب اللغة، الطبعة الأولى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (١٤/ ٢٢٩).

(٢) الفرَّاء، يحيى، (١٩٨٣)، معاني القرآن، الطبعة الثالثة، بيروت، عالم الكتب، (٣/ ٧٤).

مفرد، لكنه في معنى الجمع، ويعني: كل الناس، ودليل ذلك أن القرآن استثنى من لفظ {الإِنسَانَ} في قوله: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ (٢) إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ٢، ٣]، ومثله لفظ (الْمَلَك)، أعاد الضمير عليه مجموعًا وهو مفرد، في قوله: {وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا} [النجم: ٢٦]؛ وذلك اعتبارًا بما في اللفظ من معنى الجمع[(١)].

ومثل ذلك قوله تعالى: {وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ} [الأنعام: ٢٥]، وقوله: {وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ} [يونس: ٤٢]، فأعاد الضمير على {مَّن} الموصولة مفردًا تارة، ومجموعًا تارة؛ لأن {مَّن} تأتي للواحد وللجمع[(٢)]، فيجوز –إذا خالف المعنى اللفظَ– أن تُعيد الضمير مفردًا مراعاة للفظ، أو تُعيده مجموعًا مراعاة للمعنى[(٣)].

ومن ذلك تعاقب إفراد الفعل وجمعه مع (كل)؛ إذ يجوز الأمران عند إضافتها إلى المعرفة؛ فمن الإفراد قوله تعالى: {وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا} [مريم: ٩٥]، ومن الجمع قوله: {وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِين} [النمل: ٨٧][(٤)].

ومن ذلك التوجُّه إلى المفرد بخطاب الجمع على إرادته هو ومن معه، وهو كثير في كلام العرب؛ ومنه قوله تعالى على لسان بلقيس: {فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُون} [النمل: ٣٥]، وهي لم ترسل إلا رسولًا واحدًا، دلَّ على ذلك قوله تعالى بعدها: {فَلَمَّا جَاء سُلَيْمَانَ} [النمل: ٣٦]، وقوله: {ارْجِعْ إِلَيْهِمْ} [النمل: ٣٧]، وفي بعض القراءات: ارجعوا إليهم، وهو صواب أيضًا[(٥)].

فها هنا نلاحظ أن الفرَّاء على وعيٍ بالبدائل التي تُتيحها اللغة، وبطريقة القرآن في التناول والعرض؛ إذ يأتي بلغتين مختلفتين لكلمة واحدة، أو يغاير في عود الضمير بين الإفراد والجمع، لكنه لا يتعدَّى ذلك

---

(١) المرجع السابق، (٣/ ٢٦).

(٢) المرجع السابق، (٣/ ٥٩).

(٣) ابن مالك، جمال الدين محمد، (١٩٩٠)، شرح التسهيل، الطبعة الأولى، القاهرة، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، (١/ ٢١٢، ٢١٣).

(٤) الفرَّاء، يحيى، (١٩٨٣)، معاني القرآن، الطبعة الثالثة، بيروت، عالم الكتب، (٢/ ١٤٢).

(٥) المرجع السابق، (٢/ ٢٩٣، ٢٩٤).

الوصف إلى مفهوم الإعلامية لدى علماء النص؛ حيث مخالفة توقعات المتلقي، وأثر ذلك في النص جدة وتنويعًا، ومن ثَمَّ فإشارات الفرَّاء إلى الإعلامية إشارات في الظاهر فقط، جاءت خلوًا من مفهوم الإعلامية كما قرَّره النصيون.

**- تعاقب التذكير والتأنيث**

وبيانه أن اللفظ يكون محتملًا للتذكير والتأنيث باعتبارين مختلفين، فيأتي القرآن به مذكرًا باعتبار، ومؤنثًا باعتبار آخر؛ وهذا يؤدي إلى رفع الكفاءة الإعلامية في النص عند علماء النص؛ حيث يخالف توقعات المتلقي بإزائه، فإذا توقَّع التذكير الذي عهِده في موضع، خالفه بالتأنيث في موضع آخر، وكلٌّ ذلك معهودٌ في لسان العرب، لكن الفرَّاء لا ينتبه إلا إلى الوصف، وبيان مجاري كلام العرب، وسعته، دون أن يكون لمفهوم الإعلامية كما هو عند علماء النص نصيب من اهتمامه.

فمِن الألفاظ المذكَّرة التي فيها معنى التأنيث: لفظ {قَوْمُ}؛ ففي قوله تعالى: {وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ} [الأنعام: ٦٦] ذكَّر الفعل مراعاة للفظ، وأنَّثه في قوله تعالى: {كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ} [الشعراء: ١٠٥] مراعاة لمعنى الأُمَّة[(١)].

ومما يحتمل التذكير والتأنيث أيضًا لفظ {الصَّيْحَةُ}؛ فهو مؤنث في اللفظ، مذكَّر لكونه مصدرًا، لذا فقد أنَّث القرآنُ الفعلَ معه تارة؛ كما في قوله تعالى: {وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ} [هود: ٩٤]، وذكَّره تارة أخرى؛ كما في قوله سبحانه: {وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ} [هود: ٦٧][(٢)].

ومما يُؤنَّث ويُذكَّر لفظ {الْفُلْكِ}، فيأتي به مذكرًا في موضع مثل قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [يس: ٤١]، ومؤنثًا في موضع مثل قوله تعالى: {حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ} [يونس: ٢٢]؛ فالضمير في {جَاءتْهَا} يعود على {الْفُلْكِ}[(٣)]، وهذا التغاير في التوقعات يدفع الْمَلَلَ عن المتلقي بما يجده في النص من تنويع كما ذكر علماء النص، أما الفرَّاء فيتناوله من منظور وصفي، يرتكز على إتاحة العربية للمتكلم هذه البدائلَ.

---

(١) الفرَّاء، يحيى، (١٩٨٣)، معاني القرآن، الطبعة الثالثة، بيروت، عالم الكتب، (١/ ١٢٦).

(٢) المرجع السابق، (١/ ١٢٥).

(٣) المرجع السابق، (١/ ٤٦٠).

**٢- على مستوى النحو**

كثُرت المواضع التي بيَّن فيها الفرَّاء البدائل على المستوى النحوي؛ ومن الظواهر التي تتصل اتصالًا وثيقًا بالإعلامية:

**- ظاهرة الحذف**

تمثل المحذوفات أمثلة ذات درجة عالية من الكفاءة الإعلامية؛ فالمتكلم حين يحذف بعض النص، يُثري خيال المتلقي، ويفتح الآفاق أمامه واسعة للوصول إلى المعاني المحذوفة[(١)]، ويكثر الحذف في القرآن، للإيجاز والاختصار على عادة العرب في كلامها؛ يقول الفرَّاء: "لأن من شأن العرب الإيجاز وتقليل الكثير إذا عُرِف معناه"[(٢)]، ومن ذلك قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَاْ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُون * يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُون}[يوسف: ٤٥، ٤٦]، والأصل أن يُقال: فأرسل فدخل فقال: يوسف، وقوله: {إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ} [طه: ٤٠]، فلم يذكر أنها دخلت على آل فرعون، فدلتهم على المرضعة[(٣)]، ومنه قوله تعالى: {فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُون} [الشعراء: ١٣]، ولم يذكر علة الإرسال، من المعونة والمؤازرة؛ لأنه معلوم[(٤)]، وفي قوله تعالى: {فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ} [المائدة: ٢٧]، "ولم يقل: قال الذي لم يتقبل منه: لأقتلنك؛ لأن المعنى يدل على أن الذي لم يتقبل منه هو القائل لحسده لأخيه: لأقتلنك"[(٥)].

والفرَّاء إذ يذكر المحذوفات، فهو يذكرها على عادة غيره من النحويين، لا تتجاوز عندهم أن تكون إظهارًا للبنية المضمرة، وما يترتب على ذلك من التوجيه الإعرابي، وغير ذلك من الظواهر النحوية، أما ما

---

(١) نوفل، يسري، (٢٠١٤)، المعايير النصية في السور القرآنية دراسة تطبيقية مقارنة، الطبعة الأولى، القاهرة، دار النابغة للنشر والتوزيع، (ص: ٢٥٨).

(٢) الفرَّاء، يحيى، (١٩٨٣)، معاني القرآن، الطبعة الثالثة، بيروت، عالم الكتب، (١/ ٢).

(٣) المرجع السابق، (٢/ ١٧٩).

(٤) المرجع السابق، (٢/ ٢٧٨).

(٥) المرجع السابق، (١/ ٣٠٥).

تؤديه المحذوفات من دور في رفع الكفاءة الإعلامية، فلا التفات منه إلى ذلك؛ لأنَّه ليس من اختصاص عِلم النحو، والباحث إذ يعرض هذه الإشارات إنما يعرضها ليبين خُلُوَّ ذهن الفراء من مفهوم الإعلامية كما هو مقرر في علم نحو النص، وإن كانت موجودة ظاهريًّا.

**٣- تقديم المجاز على الحقيقة**

تمثل المجازات إعلاميةَ الدرجة الوسطى[(١)]؛ ومن المجازات التي أشار إليها الفرَّاء قوله تعالى: {فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ} [البقرة: ١٦]؛ حيث جعل التجارةَ رابحة[(٢)]، وفي قوله تعالى: {جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ} [الكهف: ٧٧] جعل للحائط إرادةً، ومثله قوله تعالى: {وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ} [الأعراف: ١٥٤]، والغضب لا يسكت، وقوله تعالى: {فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ} [محمد: ٢١]، ولا يعزم الأمر إلا أهله، ولم يُبيِّن الفرَّاء سببًا لذلك غير أنه من مجاري كلام العرب[(٣)]، ويدخل ذلك تحت ما يسميه البلاغيون المجاز العقلي؛ حيث نسب الأفعال إلى غير ما يحكم به العقل لها[(٤)] وهو من قبيل الاستعارة[(٥)].

ومن التشبيهات التي مارس فيها الفرَّاء مفهوم "الخفض" الذي ذكره روبرت دي بوجراند[(٦)] تشبيهُ القرآن شجرةَ الزقوم في قوله تعالى: {طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِين} [الصافات: ٦٥]، فقد ذكر في هذا التشبيه أقوالًا ثلاثة؛ الأول: أنه شبه طلعها برؤوس الشياطين، الموصوفة بالقبح في الاستعمال، وإن كانت غير مرئية، والثاني: أن الشياطين هنا نوع من الحيَّات، والثالث: أن رؤوس الشياطين اسمٌ لنبتٍ، وعلى القولين الأخيرين تكون الإعلامية من الدرجة الوسطى، لأنه شبَّه غائبًا بحاضر أو مجهولًا بمعلوم، أما القول الأول

---

(١) دي بوجراند، روبرت، (١٩٩٨)، النص والخطاب والإجراء، ترجمة: حسان، تمام، الطبعة الأولى، القاهرة، عالم الكتب، (ص: ٢٧).

(٢) الفرَّاء، يحيى، (١٩٨٣)، معاني القرآن، الطبعة الثالثة، بيروت، عالم الكتب، (١/ ١٤).

(٣) المرجع السابق، (٢/ ١٥٥، ١٥٦).

(٤) الحنفي، إبراهيم، (د.ت)، الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، بيروت، دار الكتب العلمية، (ص: ٣٩٧).

(٥) العسكري، أبو هلال، (١٩٥٢)، الصناعتين الكتابة والشعر، الطبعة الأولى، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، (ص: ٢٧٧).

(٦) دي بوجراند، روبرت، (١٩٩٨)، النص والخطاب والإجراء، ترجمة: حسان، تمام، الطبعة الأولى، القاهرة، عالم الكتب، (ص: ٢٥٥).

فإعلاميته من الدرجة العليا؛ لأنه شبَّه مجهولًا بمجهول، واتضح "الخفض" في قول الفرَّاء: "وأنت قائلٌ للرجل: كأنه شيطان، إذا استقبحته... والأوجه الثلاثة يُذهب إلى معنًى واحد في القبح"[(١)]، فنقل العنصر –رؤوس الشياطين– من الدرجة العليا إلى الوسطى؛ حيث جعل الجامع بين الأقوال الثلاثة أمرًا معلومًا هو القبح؛ لأن الناس يعتقدون أن الشيطان شرٌّ محض، إذ هو مستقبح في طباعهم[(٢)]، ويرى الباحث أن تشبيه المجهول بالمجهول هنا مقصود؛ لأن الله تعالى قبَّح صورة الشياطين في كل نفس، فكان تشبيه الطلع برؤوس الشياطين أبلغ وأقوى من التشبيه بالمشاهَد[(٣)].

والفرَّاء يذكر هذه البدائل؛ ليُبين إمكانات العربية، وسنن العرب في التعبير، وصولًا إلى تحديد الصواب والخطأ؛ حيث يقول بعد ذكرها: (وكل ذلك صواب)[(٤)]، (ولو كان، كان صوابًا)[(٥)]، دون أن يُبيِّن سبب اختيار بديل واحد منها، وتأثير مخالفة التوقعات في مستوى اللغة من وجهة نظر المتلقي.

**ثانيًا: المواضع التي تعدى فيها إلى الغرض، وهي قليلة جدًّا**

في هذه المواضع تبرز الظاهرة الإعلامية بصورة أوضح؛ إذ لا يكتفي الفرَّاء بذكر الاحتمالات اللغوية، بل يتعدى ذلك إلى الغرض، وهو بذلك يقوم بما ينبغي أن يفعله المتلقي، إذا حدث ما لم يتوقعه؛ حيث يقع على عاتقه البحث عن الدافع أو السبب motivation search لمعرفة دلالة هذا الاختيار غير المتوقع، ولِم آثَرَهُ المتكلم؟ وكيف يمكن أن يقع مرة أخرى؟ وهذا "الحل" إذا لم يستطع المتلقي أن يأتي به، فسوف تبدو الوقائع النصية كلامًا فارغًا[(٦)]، ما يؤثر سلبًا في كفاءة الاتصال، وهذه المواضع التي تنبَّه إليها الفرَّاء قليلة جدًّا، تُمثِّل في جوهرها مكونًا بلاغيًّا كما سيتضح.

---

(١) الفرَّاء، يحيى، (١٩٨٣)، معاني القرآن، الطبعة الثالثة، بيروت، عالم الكتب، (٢/ ٣٨٧).

(٢) الزمخشري، جار الله محمود، (د.ت)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الطبعة الثالثة، بيروت، دار الكتاب العربي، (٤٦/٤).

(٣) المبرد، محمد، الكامل في اللغة والأدب، الطبعة الثالثة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧م، (٣/ ٧٠).

(٤) على سبيل المثال انظر: الفرَّاء، يحيى، (١٩٨٣)، معاني القرآن، الطبعة الثالثة، بيروت، عالم الكتب، (٣/ ١٥٩)

(٥) على سبيل المثال انظر: المرجع السابق، (٣/ ١٧٦).

(٦) حسان، تمام، (٢٠٠٧)، اجتهادات لغوية، الطبعة الأولى، القاهرة، عالم الكتب، (ص: ٣٨٠).

فمن ذلك قوله تعالى: {رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِين} [يوسف: ٤]، فقال في الشمس والقمر والكواكب: ساجدين، وهو جمع مذكر للعقلاء؛ "لأنهم وُصِفوا بأفاعيل الآدميين، ألا ترى أن السجود والركوع لا يكون إلا من الآدميين فأُخرج فِعْلُهم على فِعالِ الآدميين"[(١)].

ومثله قوله تعالى: {أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُون} [الزخرف: ٤٥]، فاختار (واو الجماعة)؛ لتكون الضمير العائد على الآلهة، وهي لا تعود إلا على العاقل، والأصل أن يقول: تُعبَد، أو يُعْبَدْن، لكنه أنزل الآلهة منزلة العاقل لوجود القرينة؛ وهي أنها "تُكلَّم ويُدعى لها وتعظَّم فأُجريت مجرى الملوك والأمراء وما أشبههم"[(٢)]، وكذلك قوله تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا} [الأحقاف: ٤]، ولم يقل: خَلَقْنَ، خَلَقَتْ[(٣)]، وهذا كثير في كلام العرب؛ فإذا شاكل الشيءُ الشيءَ من بعض الوجوه، أُعطي من أحكامه؛ إظهارًا لأثر المشاكلة والمقاربة[(٤)].

وفي هذا النوع من المواضع يرى الباحث أن الفرَّاء يُعد سابقًا لعلماء النص؛ لأنه لا يبين إمكانات اللغة فحسب، ولا يقتصر على ذِكر طرائق التعبير العربية فقط، بل يتعدى ذلك لذكر "الحل"؛ أي: الأمر الذي من أجله آثَرَ القرآن واحدًا من بدائل متاحة.

وعليه؛ فالإعلامية ذات وجهين؛ الأول يتمثل في: البدائل المتاحة على مستوى اللغة أو حقائق العالم الواقعي، والاختيار منها، والثاني يتمثل في: مدى استجابة المتلقي، وبحثه عن دلالة البدائل المختارة، ويُلاحظ أن معيار الإعلامية لم يظهر عند الفرَّاء إلا فيما يتصل بالنواحي اللغوية، وأنه قد اقتصر على ذكر البدائل والإمكانات التي تتيحها لغة العرب، حاكمًا عليها طبقًا لمعيار الصواب والخطأ، الذي يتمثل في موافقة طرائق العرب في الكلام أو مخالفتها، دون أن يشير من قريب أو بعيد إلى مخالفة توقعات المتلقي، وهو أساس الإعلامية؛ حيث يمثل "التوقع في مقابل عدم التوقع" لبَّها، ولم يبين السبب في اختيار القرآن واحدًا منها إلا في مواضع قليلة جدًّا، ويرى الباحث أن ذلك يعود إلى تركيز النحو التقليدي على

---

(١) الفرَّاء، يحيى، (١٩٨٣)، معاني القرآن، الطبعة الثالثة، بيروت، عالم الكتب، (٢/ ٣٤، ٣٥).

(٢) المرجع السابق، (٣/ ٣٤).

(٣) المرجع السابق، (٣/ ٤٩).

(٤) الزمخشري، جار الله محمود، (د.ت)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الطبعة الثالثة، بيروت، دار الكتاب العربي، (٢/ ٤٤٤).

تحليل اللغة في ذاتها، من غير اهتمام كافٍ بالسياق الخارجي ومن عناصره المتلقي.

## الخاتمة

حاولت الدراسة الكشف عن مظاهر معياري "الموقفية"، و"الإعلامية" من خلال كتاب يمثل النحو التقليدي أو نحو الجملة، وهو كتاب "معاني القرآن" للفرَّاء، وقد توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

١. لا يمكن فهم النص القرآني بشكل واعٍ دون معرفة الملابسات والظروف المحيطة به، والتي تشمل الأحداث الواقعية والمعتقدات والأعراف الاجتماعية والخلفيات المعرفية، وهذه الظروف تُعرف بـ "الموقف" الذي أشار إليه الأدب العربي القديم بمصطلح "المقام".

٢. وظَف الفرَّاء معيار "الموقفية" كما هو مستقر عند علماء نحو النص؛ فقد استعان في الوصول إلى معاني الآيات بالمواقف الحالية، والتاريخية، والسياق الثقافي، والتفاعلات التي تنشأ بين النص والمخاطبين.

٣. لم يُغفِل الفرَّاء ذكر البدائل التي تتيحها العربية، دون أن يلتفت إلى استجابة المتلقي، ومخالفة توقعاته، وهو ما يمثل أساس الإعلامية النصية، لكنه –وفي أحيان قليلة– يرجِّح اختيار النص القرآني واحدًا منها من منطلق يلتقي مع علم البلاغة.

٤. أظهر الفراء فهمًا عميقًا للسبك النصي في تفسيره للقرآن الكريم، حيث اعتمد على وسائل الربط النحوية مثل الضمائر وأسماء الإشارة لتحقيق الترابط بين أجزاء النص القرآني، هذا التماسك كان واضحًا في تفسيرات الفراء التي حرصت على إظهار العلاقة بين الآيات والسياقات المختلفة للنص القرآني.

٥. عمل الفراء على تحقيق التناسق الدلالي من خلال توضيح المفاهيم والعلاقات اللغوية داخل النص، حيث استخدم الفراء تفسيرات تعتمد على السياق الكلي للآيات، مما أسهم في إظهار الانسجام الدلالي بين الأجزاء المختلفة للنص.

وعليه، فتوصي الدراسة بما يأتي:

١– ضرورة اهتمام الباحثين بالربط بين النحو التقليدي القائم على دراسة الجملة، وبين مباحث علم نحو النص.

٢– أهمية توسيع دائرة البحث اللغوي لتشمل كلَّ ما يؤثر في اللغة من عوامل خارجية، لا تظهر إلا في سياق الاستعمال أو التداول، وجعلها أساسًا ومنطلقًا لفَهم الظاهرة اللغوية.

## المصادر والمراجع

ابن مالك، جمال الدين محمد، (١٩٩٠)، شرح التسهيل، الطبعة الأولى، القاهرة، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.

الأزهري، أبو منصور، (٢٠٠١)، تهذيب اللغة، الطبعة الأولى، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

البركاوي، عبد الفتاح، (١٩٩١)، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، القاهرة، دار الكتب.

براون، جيليان، يول، جورج، (د.ت)، تحليل الخطاب، ترجمة: الزليطني، محمد، التريكي، منير، المملكة العربية السعودية، جامعة الملك سعود.

التهانوي، محمد، (١٩٩٦)، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، الطبعة الأولى، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو، (١٩٩٨)، البيان والتبيين، الطبعة السابعة، القاهرة، مكتبة الخانجي.

حسان، تمام، (٢٠٠٦)، اللغة العربية معناها ومبناها، الطبعة الخامسة، القاهرة، عالم الكتب.

حسان، تمام، (٢٠٠٧)، اجتهادات لغوية، الطبعة الأولى، القاهرة، عالم الكتب.

حسان، تمام، (د.ت)، مناهج البحث في اللغة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.

الحنفي، إبراهيم، (د.ت)، الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، بيروت، دار الكتب العلمية.

دايك، فان، (٢٠٠٠)، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: قنيني، عبد القادر، المغرب، إفريقيا الشرق.

دايك، فان، (٢٠٠١)، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة: بحيري، سعيد، الطبعة الأولى، القاهرة، دار القاهرة للكتاب، القاهرة.

دي بوجراند، روبرت، (١٩٩٨)، النص والخطاب والإجراء، ترجمة: حسان، تمام، الطبعة الأولى، القاهرة، عالم الكتب.

دي بوجراند، روبرت، دريسلر، ولفغانغ، أبو غزالة، إلهام، حمد، علي، (١٩٩٢)، مدخل إلى علم لغة النص، الطبعة الأولى، مصر، مطبعة دار الكتاب.

زكريا، ميشال، (١٩٨٦)، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، الطبعة الثانية، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

الزمخشري، جار الله محمود، (د.ت)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الطبعة الثالثة، بيروت، دار الكتاب العربي.

الزناد، الأزهر، (١٩٩٣)، نسيج النص بحث فيما به يكون الملفوظ نصًّا، الطبعة الأولى، بيروت، المركز الثقافي العربي.

السعران، محمود، (د.ت)، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، الطبعة الأولى، بيروت، دار النهضة العربية.

السيوطي، عبد الرحمن، (د.ت)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، بيروت، دار الفكر.

الصبيحي، محمد، (د.ت)، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، مصر، الدار العربية للعلوم ناشرون.

عبد الكريم، جمعان، (٢٠٠٩)، إشكالات النص المداخلة أنموذجًا دراسة لسانية نصية، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي.

العسكري، أبو هلال، (١٩٥٢)، الصناعتين الكتابة والشعر، الطبعة الأولى، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية.

عفيفي، أحمد، (٢٠٠١)، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق.

الفرَّاء، يحيى، (١٩٨٣)، معاني القرآن، الطبعة الثالثة، بيروت، عالم الكتب.

المبرد، محمد، الكامل في اللغة والأدب، الطبعة الثالثة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧م.

مصلوح، سعد، (٢٠٠٤)، في اللسانيات العربية المعاصرة دراسات ومثاقفات، الطبعة الأولى، القاهرة، عالم الكتب.

مصلوح، سعد، (يوليو – أغسطس ١٩٩١)، "نحو أجرومية للنص الشعري دراسة في قصيدة جاهلية"، مجلة فصول، المجلد العاشر، (العددان الأول والثاني)، (ص: ١٥١ – ١٦٦).

نوفل، يسري، (٢٠١٤)، المعايير النصية في السور القرآنية دراسة تطبيقية مقارنة، الطبعة الأولى، القاهرة، دار النابغة للنشر والتوزيع.

## المراجع العربية بالحروف اللاتينية

Abdul Karim, Juman, Textual Problems: The Case Study Approach A Linguistic Textual Study, 1st edition, Arab Cultural Center, Casablanca, 2009.

Afifi, Ahmad, Towards the Text: A New Approach in the Grammatical Study, 1st edition, Zahraa al-Sharq Library, Cairo, 2001.

Al-Askari, Abu Hilal, The Two Crafts: Writing and Poetry, 1st edition, Dar Ihya al-Kutub al-Arabia, 1952.

Al-Azhari, Abu Mansur Muhammad ibn Ahmad, Refinement of the Language, 1st edition, Dar Ihya al-Turath al-Arabi, Beirut, 2001.

Al-Barakawi, Abdul Fattah, The Significance of Context between Heritage and Modern Linguistics, Dar al-Kutub, 1991.

Al-Farra, Yahya bin Ziyad, The Meanings of the Quran, 3rd edition, World of Books, Beirut, 1983.

Al-Hanafi, Ibrahim bin Muhammad ibn Arabshah, The Lengthiest Explanation of the Summary of Key Sciences, Dar al-Kutub al-Ilmiyah, Beirut.

Al-Jahiz, Abu Uthman Amr ibn Bahr, The Clarity and Elucidation, 7th edition, Maktabat Al-Khanji, Cairo, 1998.

Al-Mubarrad, Muhammad ibn Yazid, The Complete in Language and Literature, 3rd edition, Dar al-Fikr al-Arabi, Cairo, 1997.

Al-Sa'ran, Mahmoud, Linguistics: An Introduction for the Arab Reader, 1st edition, Dar al-Nahda al-Arabia, Beirut.

Al-Subaihi, Muhammad, Introduction to Text Science and its Fields of Application, Arab World Science Publishers.

Al-Suyuti, Abdul Rahman ibn Abi Bakr, The Scattered Pearls in the Exegesis of the Narrated Quran, Dar al-Fikr, Beirut.

Al-Tahanawi, Muhammad ibn Ali, Encyclopedia of Terms in Arts and Sciences, 1st edition, Lebanon Publishers Library, Beirut, 1996.

Al-Zamakhshari, Abu al-Qasim Mahmood ibn Umar Jar Allah, The Revealer of the Realities of the Obscurities of the Revelation, 3rd edition, Dar al-Kitab al-Arabi, Beirut.

Al-Zanad, Al-Azhar, The Fabric of the Text: A Study in What Makes the Utterance a Text, 1st edition, Arab Cultural Center, Beirut, 1993.

Brown, Gillian, and George Yule, Discourse Analysis, translated by: Zalitni, Mohammed, and Triki, Munir, King Saud University, Saudi Arabia.

De Beaugrande, Robert, Dressler, Wolfgang, Abu Ghazaleh, Ilham, and Hamd, Ali, Introduction to Text Linguistics, 1st edition, Dar al-Kutub Printing Press, 1992.

De Beaugrande, Robert, Text, Discourse, and Processing, translated by: Hassan, Tamam, 1st edition, World of Books, Cairo, 1998.

Hassan, Tamam, Linguistic Efforts, 1st edition, World of Books, 2007.

Hassan, Tamam, Research Methods in Language, Anglo-Egyptian Bookshop.

Hassan, Tamam, The Arabic Language: Its Meaning and Structure, 5th edition, World of Books, 2006.

Ibn Malik, Jamal al-Din Muhammad ibn Abdullah, Explanation of Al-Tasheel, 1st edition, Hijr for Printing, Publishing, Distribution, and Advertising, 1990.

Maslouh, Saad, In Contemporary Arabic Linguistics: Studies and Intercultural Dialogues, 1st edition, World of Books, Cairo, 2004.

Maslouh, Saad, Towards a Grammar of the Poetic Text: A Study in a Pre-Islamic Poem, Fasool Magazine, Volume 10, Issues 1 and 2, pages: 151-166, July - August 1991.

Noufal, Yousry, Textual Standards in Quranic Chapters: A Comparative Applied Study, 1st edition, Dar al-Nabigha for Publishing and Distribution, Cairo, 2014.

Van Dijk, Text and Context: An Inquiry into Semantic and Pragmatic Discourse Analysis, translated by: Qanini, Abdelkader, East Africa, Morocco, 2000.

Van Dijk, Text Science: An Interdisciplinary Introduction, translated by: Bahiri, Said, 1st edition, Dar al-Cairo for Books, Cairo, 2001.

Zakaria, Michel, Generative and Transformational Linguistics and the Rules of Arabic Language, 2nd edition, The University Institution for Studies, Publishing and Distribution, Beirut, 1986.

# The Instances of "Situationality" and "Informativity" Standards: A Case Study of "Maʿānī al-Qurʾān" by Al-Farra

**Obaid bin Ahmed bin Obaid Al-Maliki**

*Associate Professor of Syntax and Morphology, Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Humanities, Al-Baha University, KSA*

*Abstract*. Modern linguistic studies have shifted from analyzing language phenomena at the sentence level to examining them within the broader framework of the "text." Robert de Beaugrande established seven standards for textuality, two of which-Situationality and Informativity-are the focus of this study. Situationality concerns the external context in which the text is produced, while Informativity relates to how much a text deviates from what the recipient anticipates. This study is significant in that it paves the way for researchers to utilize textuality standards in uncovering the unique features of Arabic texts. Through a descriptive-analytical and comparative methodology, the study explores Al-Farrāʾ's approach in Maʿānī al-Qurʾān, examining how he employed the standards of Situationality and Informativity. The study reveals that Al-Farrāʾ applied the principles of Situationality in line with modern textual analysis, drawing on historical events and societal norms to interpret the Qur'anic text. However, his use of Informativity was limited to discussing Arabic's linguistic alternatives without fully addressing their effect on the audience's expectations.

*Keywords***:** Textual Grammar, Situationality (Context), Informativity, Qur'anic Exegesis, Al-Farrā.